الملتقى الوطني الثالث
النص التراثي وإشكالية القراءة

لجنة التنظيم

رئيس لجنة التنظيم:

الدكتور المصري مبروك عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية

أعضاء لجنة التنظيم

- أ. محمد عبد الرحمان قاسي
- د. الطاهر مشري
- د. أحمد جعفري
- أ. الصديق مقدم
- أ. أحمد شكيب بكري
- أ. إدريس بن خويا
- أ. عبد القادر اقصاصي
- باسة عبد النبي

لجنة الطبع والإخراج:

عبد الرحمن بوظفـــر
عمـــــــــار بكراوي
باطيـــــــر عمـــــار

الملتقى الوطني الثالث
النص التراثي وإشكالية القراءة

رئيس الملتقى

أ.د. عيسى قرقب — مدير جامعة أدرار

رئيس اللجنة العلمية

أ. عبد الله رزوقي — جامعة أدرار

أعضاء اللجنة العلمية

أ. محمد عبد الرحمان قاسي	جامعة أدرار
د. الطاهر مشري	جامعة أدرار
د. أحمد جعفري	جامعة أدرار
د. محمد الأمين خلادي	جامعة أدرار
أ. عبد العزيز ابليلة	جامعة أدرار
أ. خالدي ميزاتي	جامعة أدرار
أ. مبارك بلالي	جامعة أدرار

الفهـرس العـام

أعضاء اللجنة العلمية	ب
الفهـرس العـام	ج
ديباجة الملتقى	ه
محاور الملتقى	و

المحور الأول: النص التراثي: تحديد المفاهيم.

01	أ.عبد الحفيظ تحيريشي	مفاهيم النص	13
02	أ. كريمة صمباوي	النص عند القدماء "بحث في الماهية"	19
03	أ. عبد العزيز ابليلة	النص التراثي: محاولة في تحد يد المفهوم	24
04	أ. محمد عبد الرحمان قاسي	القراءة: وإشكالية المصطلح	33
05	د. إبراهيم صدقة	تصور التراث النقدي للنص الأدبي ابن طباطبا أنموذجا	38

المحور الثاني: القراءات التقليدية للنص التراثي: وصف وتقييم .

06	د. شعيب مقتونيف	القراءات المتجدّدة للنصوص التراثية في النقد العربي القديم بين الثبات والتغيير	53
07	أ. عبد الله حبيبي	من آليات قراءة الشواهد الشعرية في منهاج البلغاء وسراج الأدباء لحازم القرطاجني.	61
08	أ. إدريس بن خويا	النص الأدبي – من بنية المعنى إلى سيميائية الدال–	70
09	أ. مبارك بلالي	قراءة في التراث الأدبي لحقبة ما قبل النهضة العصر العثماني والمملوكي	74
10	أ. محمد حاج قويدر	قراءة ثانية لشعرنا القديم للدكتور مصطفى ناصف عرض وتقديم	77
11	د. بوجمعة شتوان	إستراتيجية الاستعارة في الصورة التراثية	84
12	د. عبد الحليم بن عيسى	"النص التراثي وآليات قراءته التداولية" –نقد النثر لقدامة بن جعفر نموذجا–	90
13	أ. خالدي ميزاتي	النقد الأركوني للتراث : قراءة علمية أم إديولوجيا؟	104
14	أ. بريـك الضاوية	المنهج التكاملي وقراءة التراث الأدبي	107
15	أ. عبد الله مقلاتي	نقد التراث والتاريخية في مشروع محمد أركون الفكري	113

المحور الثالث: القراءات الحديثة للنص التراثي: المناهج الحديثة وآلياتها.

16	د. عبد الكريم بكري	أثر الدراسات القرآنية في النقد العربي الحديث	119
17	د. قادة عقاق	وعي التراث وإشكاليات قراءته (مدخل إلى دراسة العلامة في التراث العربي الإسلامي)	127
18	أ. سعاد شابي	إشكالية قراءة الخطاب الصوفي	136
19	أ. الصديق حاج أحمد	إسقاط المشروع الحداثي على النص القرآني – أطروحات الدكتور طه عبد الرحمان أنموذجا	142
20	أ. عز الدين حفار	معيار التماسك في النص الشعري قراءة في معلقة عنترة بن شداد	155

المحور الرابع: مقاربات تطبيقية للنص التراثي .

21	أ. محمد بوسعيد	النص التراثي وإشكالية القراءة "شروح ديوان المتنبي نموذجا"	159
22	أ. أحمد شكيب بكري	الأبعاد الدلالية في الحكاية الشعبية حكاية سالم والساحر _ لمحمد ديب _ دراسة سيميائية.	169
23	أ. نعيمة سبتي	قراءة النّص التراثي في الخطاب العربي المعاصر (من التنظير الحديث إلى التطبيق المعاصر)	186
24	أ. سليمان قوراري	مقاربة تطبيقية للنص التراثي من منظور حداثي سامي سويدان وريتا عوض نموذجا	194
25	الأستاذ: صديق مقدم	إشكالية القراءة في الأدب الأندلسي، تطبيقات في بعض النصوص الشعرية	199
26	Intervenant: Yahiaoui. Abderrahmane	Apprentissage du français dans la région de TOUAT	206
27	الأستاذ: عبد الحق خليفي	فهم النص التراثي بين المرجعية الفكرية والخلفية الفلسفية	213

ديباجة:

لا يزال التراث العربي – الإسلامي، بمختلف نصوصه وخطاباته، يطبع جوانب أساسية من حياتنا أفراداً وجماعات، ولذا فقد كان من الطبيعي أن يحتل موقفاً متميزاً في ثقافتنا الحديثة والمعاصرة، سواء بتوظيفه في الصراعات الإيديولوجية التي تشهدها الساحة الفكرية والسياسة عندنا، أو بمساهمة الباحثين والدراسين في إحيائه وإعادة قراءته وفق مناهج ورؤى مختلفة، مما جعل تلك القراءات تتراوح بين الفهم التقليدي الذي يحول النص إلى نموذج تاريخي مغلق وفهم آخر – علمي . قائم على توظيف التجديد المنهجي الحاصل في علوم الإنسان والمجتمع أملاً في لحظة تاريخية تضع الأمة في قلب العالم والعصر.

ولمّا كانت القراءات الحديثة التي تناولت النص التراثي . العربي . أكثر من أن تحصى، فقد رأى قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة أدرار أن يجعل من تلك القراءات نفسها موضوعاً لقراءات أخرى مشروعة وضرورية، وذلك من خلال تنظيم ملتقى وطنيّ موضوعه: (النص التراثي وإشكالية القراءة) ليكون مناسبة للتعريف بأهم المناهج الحديثة، ومقولاتها، وأدواتها الإجرائية، ومرجعياتها الفكرية والإيديولوجية، وامتحانها في حقل النصوص التراثية لبيان حدودها.

محاور الملتقى الوطني

المحور الأول: النص التراثي: تحديد المفاهيم.

المحور الثاني: القراءات التقليدية للنص التراثي: وصف وتقييم .

المحور الثالث: القراءات الحديثة للنص التراثي: المناهج الحديثة وآلياتها.

المحور الرابع: مقاربات تطبيقية للنص التراثي .

برنامج سير الأشغال

التاريخ	التوقيت	البيان
الاثنين: 2008/04/21		**استقبال المشاركين من جامعات الوطن**
الثلاثاء: 2008/04/22	**09:30 – 08:00**	**الافتتاح الرسمي**
	12:30 – 10:00	**الجلسة الأولى**
	18:30 - 16:00	**الجلسة الثانية**
الأربعاء: 2008/04/23	**10:00 - 08:00**	**الجلسة الثالثة**
	12:30 - 10:30	**الجلسة الرابعة**
	19:00 – 16:00	**الجلسة الخامسة**
	18:30 – 18:00	**الجلسة الختامية**

* برنامج أشغـال الملتقـى الوطني الثالث *

" النَّـص التُّـراثِـي وإشكَـاليـَّـة الـقـرَاءة "

الثـلاثـاء :22 أبـريل 2008 .

الفـتــرة الصـبـاحيـــة: 08:00 – 12:30 .

09:30 – 08:00 مـراسيم الافتتـــاح.
- الافتتاح بآيـات قـرآنيــة.
- الاستمـاع للنشيد الوطني.
- كلمة السيد عميد كليـة الآداب .
- كلمة السيد رئيس قسم اللغة العربية.
- كلمة السيد رئيس اللجنة العلمية للملتقى(السيد الأمين العام للجامعة).
- كلمـة ممثـل الأسـاتذة الضيـوف
- كلمة السيد رئيس الجامعة.

10.00-09:30 استـــــــراحـــــة .

12:30 – 10:00 الجلســة الأولـــى . المحـــور الأول: النص التراثي تحديد المفاهيـــم .

رئيس الجلسة	المتـدخـــل	الجامعة	عـنـــوان المـــداخلـــة
د/أحمد جعفري	د/إبراهيم صدقة	ج/ سطيف	تصور التراث النقدي للنص الأدبي " ابن طباطبا" أنموذجا
	أ/ كريمة صمباوي	ج/ أدرار	النص عند القدماء "بحث في الماهية"
	أ/ عبد العزيز أبليلة	ج/ أدرار	النص التراثي: محاولة في تحديد المفهوم
	أ/ عبد الرحمان قاسي محمد	ج/ أدرار	القراءة : إشكالية المصطلح
	أ/ محمد الأمين خلادي	ج/ أدرار	أطاريح التراث العربي ومفاهيم دراستها
	أ/ عبد الحفيظ تحريشي	ج/ أدرار	مفاهيم النص .

الفـتـرة المسـائيـة: 16:00 – 18:30.

الجلســة الثانيـة : المحـور الثاني: القراءات النقـدية للنص التراثي ، وصف وتقديم .

رئيس الجلسة	المتـــدخـــل	الجامعة	عـنـــوان المـــداخلـــة
د/ الطاهر مشري	د/شعيب مقنونيف	ج/تلمسان	القراءات المتجددة للنصوص التراثية في النقد العربي القديم بين الثبات والتغيير
	أ/حبيبي عبد الله	ج/ أدرار	من آليات قراءة الشواهد الشعرية في منهاج البلغاء وسراج الأدباء لابن حزم القرطاجني
	أ/لعلمي حدباوي	ج/ أدرار	قراءة إحسان عباس للتراث
	أ/بن خويا إدريس	ج/ أدرار	النص الأدبي من بنية المعنى إلى سيميائية الدال
	أ/أبلالي مبارك	ج/ أدرار	قراءة في التراث الأدبي لحقبة ما قبل النهضة العصر العثماني والمملوكي
	أ/الحاج قويدر محمد	ج/ أدرار	قراءة ثانية لشعرنا القديم للدكتور "مصطفى ناصف"عرض وتقديم
استراحـــــــة			

الأربعاء :23 أبريل 2008 .

الفـتـرة الصباحيـة: 08:00 – 12:30

08:00- 10.00 .الجلسة الثالثة: المحور الثاني : **القراءات النقدية للنص التراثي : وصف وتقديم**

رئيس الجلسة	المتـــدخـــل	الجامعة	عـنـــوان المـــداخلـــة
أ .د/ بكري عبد الكريم	د/بوجمعة شتوان	ج/ تيزي وزو	إستراتيجية الاستعارة في الصورة الشعرية التراثية.
	د/بن عيسى عبد الحليم	ج/ وهران	النص التراثي وآليات قراءته التداولية نقد النثر لقدامة بن جعفر – أنموذجا
	أ/خالدي ميزاتي	ج/ أدرار	النقد الأركوني للتراث :قراءة علمية أم إيديولوجيا؟
	أ/ باريك الضاوية	ج/ أدرار	المنهج التكاملي وقراءة التراث الأدبي
	أ/مقلاتي عبد الله	ج/أدرار	نقد التراث والتاريخانية في فكر محمد أركون
	أ/خليفي عبد الحق	ج/أدرار	فهم النص التراثي بين المرجعية الفكرية والخلفية الفلسفية

استراحـــــة

10:30 -12.30 الجلسة الرابعة:المحور الثالث:**القراءات الحديثة للنص التراثي/المناهج الحديثة وآلياتها**

رئيس الجلسة	المتـــدخـــل	الجامعة	عـنـــوان المـــداخلـــة
د/ محمد الأمين خلادي	أ.د بكري عبد الكريم	ج/ وهران	أثر الدراسات القرآنية في النقد العربي الحديث
	د/قادة عقاق	ج/ س/ بلعباس	وعي التراث وإشكاليات قراءته(الخطاب السيميائي نموذجا)

	د/مشري الطاهر	ج/ أدرار	إشكالية قراءة التراث الصوتي العربي من خلال كتاب (المجمل في المباحث الصوتية) د. مكي درار
	أ/شابي سعاد	ج/ أدرار	إشكالية قراءة الخطاب الصوفي
	أ/الحاج أحمد الصديق	ج/ أدرار	إسقاط المشروع الحداثي على النص القرآني – "د / طه عبد الرحمان ".أنموذجاً.
	أ/بكري أحمد شكيب	ج/أدرار	الأبعاد الدلالية في الحكاية الشعبية: "حكاية سالم والساحر لمحمد ديب نموذجا" دراسة سيميائية

الفـتــرة المسـائيــة :16:00 – 19:00 .

18.00-16:00 الجلسـة الخـامسـة: المحورالرابع: مقـاربات تطبيقيـة للنص التـراثي .

رئيـس الجلسة	المتــدخـل	الجـامعــة	عـنــوان المــداخلـــة
أ/ عبد الرحمـان قـاسي محمد	أ/حفار عز الدين	ج/ مستغانم	معيار التماسك في النص الشعري "قراءة معلَّقة عنترة بن شداد"
	أ/بوسعيد محمد	ج/ الشلف	النص التراثي وإشكالية القراءة "شروح ديوان المتنبي أنموذجاً
	أ/سبتي نعيمة	ج/ أدرار	قراءة النص التراثي في الخطاب العربي المعاصر من التنظير الحديث والتطبيق المعاصر .
	أ/قوراري سليمان	ج/ أدرار	مقاربة تطبيقية للنص التراثي من منظور حداثي. سامي سويدان و ريتا عوض نموذجا
	أ/مقدم صديق	ج/ أدرار	إشكالية القراءة في الأدب الأندلسي، تطبيقات في بعض النصوص شعرية
	أ/ يحياوي عبد الرحمان	ج/ أدرار	LE FRANCAIS COMME LANGUE D' E'CHANGE ET LE PATRIMOINE CULTUREL LOCAL.
استراحـــة			

الجلسـة الختـاميـة: 18.00–18.30 .قراءة التوصيات واختتام أشغال الملتقى .

المحور الثاني:

القراءات التقليدية للنص التراثي: وصف وتقييم

القراءات المتجدّدة للنصوص التراثية
في النقد العربي القديم بين الثبات والتغيير

الدكتور: شعيب مقتونيف

جامعة تلمسان

تمهيد:

إن النقد العربي القديم لا يمكن مقاربته، فيما يبدو، إلا في إطار الإشكالية العامة للتراث العربي ككل. هذا التراث المتميّز بحمولة وجدانية جعلت منه مكونا من مكونات الهوية، وبحمولة إيديولوجية جعلت منه مكونا من مكونات الحاضر.

ومن ثم فإننا واجدون في هذا التراث النقدي نماذج كثيرة يصدق عليها ما يُصطلح عليه اليوم، في النقد المعاصر، بالقراءة الجديدة أو المتجدّدة، أو الثانية أو القراءة على القراءة وما إلى ذلك، لنص قد قُرئ قراءة مختلفة. بيد أنه لا بدّ من الاعتراف أن بين نمط القراءتين؛ القديمة، وأقصد الأولى، والحديثة، وأقصد التالية لها، بونا في أفق القراءة ومداه.

ومداخلتي الموسومة: "**القراءات المتجدّدة للنصوص التراثية في النقد العربي القديم بين الثبات والتغيير**"، تطمح لتسليط الضوء على هذه القضية متّخذة نصوص الموازنات الشعرية أنموذجا والتي عدّها النقد العربي من كبرى قضاياه بوصفها متصلة بجانب في الطبيعة الإنسانية من حيث المقارنة والمفاضلة، فضلا عن أنّها تشعبت واكتسبت بالتطور، وَفق نظرية القراءة وجمالية التلقي، صورا ستتوقف عندها هذه المداخلة لتسأل عن قيمة النتائج التي توصلت إليها قضية الموازنات كما يقرها الدرس النقدي الحديث، وإن كانت في الوقت نفسه تمثل ذوقاً فنيا ينحاز إلى هذا الجانب أو ذاك.

لعله من الأفيد التذكير بأن مصطلح القراءة الجديدة، أو الحديثة، أو الثانية، أو الثالثة، أو المتجدّدة، أو الأخرى..، لمن المصطلحات التي جعل الدارسون يتداولونها كثيرا في أيامنا هذه، ربما بتأثير النقد الأجنبي الحديث.

وإذا ما اتفقنا على أن المعنى الذي يرمي إليه هذا المصطلح الواحد، وإن تعددت صيغه وكثرت محاولات تحديد معنى " القراءة"[1]، لا يتخطى حدود تأويل شيء قديم وتفسيره تفسيرا جديداً وَفق معطى آخر أو معطيات أخرى، أو إبداء رأي آخر فيه، إذا ما اتفقنا على هذا، أو كدنا، نجد في تراثنا النقدي نماذج عديدة يصدق عليها ما يصطلح عليه اليوم بالقراءة الجديدة أو الثانية لنص قد قرئ قراءة مختلفة. بيد أنّه لا بدّ من الاعتراف أن بين نمط القراءتين القديمة والحديثة بوناً في أفق القراءة ومداه.

ففي حين تتسع قراءاتنا الحديثة في الأغلب، لتتناول موضوعا كاملا أو ظاهرة تامة أو خطابا أدبيا متكاملا، أو شاعراً أو ناقداً نجد أن قراءة القدامى الجديدة تكاد تقف، كما كان ديدنهم في الأغلب، عند أجزاء لا تتعدّاها.

---

[1] لمزيد من التوسع يراجع: –مناهج الدراسة الأدبية، د.حسين الواد، منشورات عيون الدار البيضاء: المغرب، ط04، 1988، ص57– 84.

وقد يكون وقوفهم مقصودا أوعرضيا؛ والأمثلة كثيرة. غير أنّه لا مندوحة من الاكتفاء بنماذج بعينها تفي بإيصال الرسالة التي تتلخص في أن هذا السمت النقدي المعاصر، لم يكن بعيدا عن أذهان القدماء وتصوراتهم على النحو المذكور سابقا. ورأيت أن أقف عند شاهد من النقد التعليلي أو بالأحرى في **الموازنة التعليلية** وفي غرض **الفخر** ومدونة كل ذلك كتاب " **الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء في عدّة أنواع من صناعة الشعر**" لأبي عُبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني، وبتحقيق الأستاذ علي محمد البجاوي[1].

إذن تخص المداخلة هذه القضية النقدية المهمّة بهذه المحاولة المحددة لهذه الثنائية الذاتية والموضوعية في نقد الشعر نظرا لما لمصطلح الموضوعية من وقع علمي ومن أثر منهجي في مقاومة الذاتية والهوى والانتماء لأي شيء في رحاب الأدب والفن، فالموضوعية هي المعيار الحقيقي لكل ناقد أراد لآرائه إقناع أكبر عدد من الدارسين، ولا يعني هذا أن الذاتية شر كلّها، فبعض عناصرها؛ كالذوق والميل العاطفي المحصن بالصدق والاستجابة للعمق الداخلي للإنسان المبدع والمتلقي في بنية الخطاب، هذه العناصر وغيرها في عنصر الذاتية تبقى لها وجاهتها لكن في رحم الموضوعية التي تتخذ لممارسة عملها في النقد أكثر من شرط وضابط علمي ومنهجي لأداء المنهج الذي يلتزم بها في التحليل لأداء دوره الحقيقي المطلوب.

من أجل هذا، اقتنع المرزباني بأنّ السؤال عن السبب الذي حدا بالناقد على تقديم شاعر على آخر بصيغة انطباعية، وإجابة الناقد على التساؤل، يشكل خطوة متطورة في مجال النقد.

ففي خبر أورده المرزباني، أن أبا حاتم السجستاني قال:<< قلت للأصمعي: أبشار أشعر أو مروان؟ قال: فقال: بشار أشعرهما. قلت: وكيف ذاك؟ قال: لأن مروان سلك طريقا كَثُرَ سُلاَّكُه فلم يلحق بمن تقدمه، وإن بشارا سلك طريقا لم يسلكه أحد، فانفرد به وأحسن فيه، وهو أكثر فنون شعر، وأقوى على التصرف، وأغزر وأكثر بديعا، ومروان آخذ بمسالك الأوائل>>[2]. فالأصمعي يقدّم بشارا على مروان لأسباب موضوعية: الابتكار، وكثرة الفنون الشعرية، وغزارة البديع بالقياس إلى ما في شعر مروان منه، بينما مروان يحاكي القدماء في مسالك الشعر، دون أن يرقى إلى مرتبتهم.

وأورد المرزباني خبرا يرجع سنده إلى أبي الغوث يحيى بن البحتري عن أبيه، أنه قال:<< لا أرى أن أكلم من يفضل جريرا على الفرزدق، ولا أعدّه من العلماء بالشعر. فقيل له: وكيف كلامك أشدّ انتسابا إلى كلام جرير منه إلى كلام الفرزدق؟ فقال: كذا يقول مَنْ لا يعرف الشعر، لعمري إن طبعي بطبع جرير أشبه، ولكن من أين لجرير معاني الفرزدق، وحسن اختراعه؟ جرير يجيد النَّسيب، ولا يتجاوز هجاء الفرزدق بأربعة أشياء: بالقين[3] وقتل الزبير[4]، وبأخته جعثين[5]، وامرأته النوار، والفرزدق يهجوه في كل قصيدة بأنواع هجاء يخترعها

---

[1] طبعة دار النهضة مصر، 1965.

[2] الموشح، ص ص 391، 392.

[3] قال الفرزدق:<< إن عمّتي كان لها قين، فلما هجاني جرير جعلني قينا بذلك السبب>> (المصدر السابق، ص 194).

[4] أما الزبير<< فإنه وقف على مسجد بني مجاشع، فسأل عن عياض بن حمار بن أبي حمار، فقال النعر بن زهام المجاشعي: هو بوادي السباع، فمضى الزبير يريده وخرج النعر بن زهام مع الزبير حتى بلغ المحيث ثم رجع>> (نفسه).

[5] جعثين: أخت الفرزدق<< كانت من خير نساء زمانها، اختال بنو منقر فأقعدوا إنسانا في طريقها وقد خرجت لبعض أمرها، فرمى بها فوقعت ومضى يعدوا، ليزيلوا عن أنفسهم شيئا زعموا أن الفرزدق فعله بهم>> (نفسه: ص193).

ويبدع فيها>>[1]. فالبحتري يقدم الفرزدق على جرير لتفوقه عليه في المعاني الشعرية وحسن الاختراع ولا سيما في غرض الهجاء.

وهذا النقد التعليلي يتبدّى في حديث النقاد عن الأغراض الشعرية المنوعة كالمدح، والهجاء، والفخر، والوصف، وأتوقف عند غرض الفخر، كما سبقت الإشارة إليه.

علّق المرزباني على قول حسان بن ثابت[2]:

لنا الجفنات الغرّ يلمعن بالضحى وأسيافنا يقطرن من نجدة دما[3].

ولدنا بني العنقاء وابني محرق فأكرم بنا خالا وأكرم بنا ابنما[4]

<< وقال قوم ممن أنكر هذا البيت في قوله: يلمعن بالضحى، ولم يقل بالدجى، وفي قوله: وأسيافنا يقطرن، ولم يقل يجرين لأن الجري أكثر من القطر. وقد ردّ هذا القول، واحتّج فيه قوم لحسان بما لا وجه لذكره في هذا الموضع.

فأما قوله: فخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك فلا عذر عندي لحسان فيه على مذهب نقاد الشعر. وقد احترس من مثل هذا الزلل رجل من كلب، فقال يذكر ولادتهم لمصعب بن الزبير وغيره ممن ولده نسائهم:

وعبد العزيز قد ولدنا ومصعبا وكلب أب للصالحين ولود

فإنه لما فخر بمن ولده نسائهم فضل رجالهم، وأخبر أنهم يلدون الفاضلين، وجمع ذلك في البيت واحد، فأحسن وأجاد>> [5].

إنّ بيتي حسان وإن لم يردا بهذا الترتيب من قصيدة فخر معروفة عُدّتها خمسة وثلاثون (35) بيتا[6]. هما اللذان لفتا، فيما يقال، انتباه النابغة الذبياني في القصيدة ووقف عندهما، وحكم، بهما فقط، على الشاعر، وفضّل غيره عليه غير آبه بالقصيدة كلها، وفي الأقل، ولا بشعر حسان بعامة لقد ظل البيت الأول، ولا شأن لنا بالبيت الآخر، لأن النقد الذي وُجِّه إلى الشاعر فيه نقد يحوم حول خروجه عن التقاليد والأعراف والقيم الاجتماعية ولا يمّت إلى أدبيته بصلة ما، وربما أهمله قدامة بن جعفر لهذا السبب أيضا، لقد ظلّ، قلت، في المدّة الطويلة الممتدة من زمن النابغة في الجاهلية إلى زمن قدامة في القرن الرابع الهجري، يُقرأ قراءةً واحدةً في ضوء منظار واحد هو الذي يسمّى اليوم: << يقين اللغة أو يقين المعجم >> [7]، دون أن تتخطى تلك القراءة

---

[1] نفسه: ص197–198.

[2] شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري: وضعه وصححه عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي: بيروت، 1981، ص244.

[3] الجفنات: القصاع، والغر: البيض من كثيرة الشحم وبياض اللحم وذلك كناية عن كرم وبأس قوم الشاعر (نفسه).

[4] العنقاء هو << ثعلبة بن عمرو مزيقاياء بن عامر ماء السماء>>، ومحرق هو:<< الحارث بن عمرو مزيقاياء وكان أول من عاقب بالنار>>(نفسه).

[5] المصدر السابق، ص83–84.

[6] أنظرها في الديوان: ص416–425.

[7] رولان بارت: النقد والحقيقة، ترجمة إبراهيم الخطيب، الشركة المغربية للناشرين المتحدين: الرباط، ط01، 1985، ص19.

مقولة النابغة لصاحبه:<< أنت شاعر، ولكنك أقللت جفانك وأسيافك>>[1] أو << أقللت أسيافك ولمّعت جفانك>> [2].

ولقد تناول أبو بكر الصولي حكم النابغة هذا وجعل يفسّره قائلا:<< فانظر إلى هذا النقد الجليل الذي يدل عليه نقاء كلام النابغة وديباجة شعره، قال له: أقللت أسيافك، لأنه قال:"وأسيافنا"، وأسياف جمع لأدنى العدد، والكثير سيوف. والجفنات لأدنى العدد، والكثير جفان>> [3].

وذكر الصولي عن النابغة كذلك: << وذهب إلى أنه لو قال: لنا الجفنات البيض، فجعلها بيضًا كان أحسن>> [4].

ولم يعترض الصولي على قراءة النابغة إلا في" الغر" لفظيا، لأنه قال: << فلعمري إنه أحسن في الجفان إلا أن الغر أجّل لفظا من البيض>> [5]. وذكر المرزباني أن نفرا ممّن أنكروا البيت، بعد النابغة، زادوا في في نقدهم إيّاه، فأخذوا على حسان أنه قال:<< يلمعن بالضحى ولم يقل بالدجى وقال: أسيافنا يقطرن ولم يقل: يجرين، لأن الجري أكثر من القطر>> [6]. وبالرجوع للبيت الثاني، من قول حسان، نجد فخره بالأبناء لا بالآباء يخالف خصلة يتصف بها العرب، ألا وهي تمجيد الأجداد. ومن هنا فإن هذا الفخر لا يحقق الائتلاف بين المعنى والغرض المعالج وهو الفخر.

يكاد يكون واضحا أن الذي قاد النابغة ومَنْ تلاه ممن يلهثون وراء" المضمون" أو "قصد الشعر" إلى هذه القراءة الظاهرة هو موضوع "الافتخار" أي قصد حسان العام من القصيدة فقد اعتاد العرب، ومازالوا إلى حدّ ما، على تغليب" الكثرة" والاهتمام بها في الافتخار والمدح، بيد أنه " القصيدة " الخاصة كانت ومازالت وستظل إشكالية نقدية، لأن الناقد قد لا يستطيع أن يهتدي إلى قصد المبدع، ولأن المبدع هو غير القصد الذي يفهمه القارئ أو يجنح إليه.

وعلى العموم، ففي" القصيدة" نظرتان نقديتان حديثتان متغايرتان تقريبا[7]؛ ترى الأولى أن خطة المبدع أو قصده << لا هي واردة ولا هي مرغوبة كمقياس للحكم على نجاح عمل أدبي متفنن>> [8]. والبحث لا يرى أن هذه النظرة التي توصف بأنها مضللة بكل تأكيد في هذا النص، في الأقل، كانت في حسبان النابغة وأضرابه، لأنها نزوع من النزوعات الكثيرة إلى الأدب الخالص. وتذهب الثانية إلى أنه << لكي نحكم على نجاح الشاعر، فيجب أن نعرف ما قصد إليه>> [9] وقد وُسِمت بأنها« الضلالة القصدية»[1]، وإن ليست أمعن في

---

[1] الموشح، ص82.

[2] نفسه: ص83.

[3] نفسه.

[4] نفسه.

[5] المصدر السابق: ص 83.

[6] نفسه: ص 84

[7] غراهام هو: "مقالة في النقد"، ترجمة د. محي الدين صبحي، مطبعة جامعة دمشق، 1973، ص74.

[8] أحمد جمال الطاني: التلقي الجمالي في النقد العربي والغربي، دار الكتاب الحديث، د.ط، ص115.

[9] نفسه.

في الضلالة من الأولى. وإخال أن مصدر حكم النابغة وتابعيه على عدم نجاح حسان في بيته الافتخاري تيقنهم من فهم ما قصد إليه الشاعر تيقنا أوقعهم فيه يقين اللغة المعجمي بعيدا عن تعدديه المعنى أو أي محتمل نقدي آخر، وهو يقين اختلط عندهم، كذلك بالسياق الاجتماعي للفخر في ذلك الزمان.

إن هذا المستوى أو الضرب من قراءة الخطاب الأدبي، وهو خطاب ذو جانبين: ما يقوله الكاتب وما يقرأه القارئ، يقف عند حدود ما يسمى" التلقي المباشر" أو " قراءة البُعد الواحد" أو " القراءة الاستنساخية" وهو مستوى قرائي يجتهد في أن يكون التلقي فيه بأكبر قدر من " الأمانة" أي بأقل تدخل ممكن. إنها قراءة << تحاول أن تخضع نفسها للنّص تبرز ما يبرز وتخفي ما يخفي لتقدم لنا صورة" طبق الأصل"، إلى هذه الدرجة أو تلك، عن المقروء، أي تعبيرا" مطابقا" لوجهة النظر الصريحة المكشوفة التي يحملها >> [2].

إن هذا الضرب من القراءة، الذي يجري وارء المضمون وقصد الشاعر يقرأ النّص كوصف من حيث أن اللغة أداة تمثيل ونقل فقط وليس أداة تساؤل وتغيير، والقارئ، هنا، لا يقرأ النّص في ذاته، بل يقرأ ذاكرته الشخصية: الماضوية/ الإيديولوجية...

إن هذه القراءة لا تهدف إلى قراءة النّص بقدر ما تهدف إلى استخدامه. وطبيعي أنها ستدين كل نّص عصيّ على ما تريد. إنها قراءة قد تسمى" القراءة الطامسة"، وهي << لا تطمس نّصية النّص وحسب، وإنما تطمس كذلك، إمكان التساؤل وإعادة النظر والحركة الإبداعية، إنها باختصار تطمس الشعر >> [3].

ومن الغريب اللافت للانتباه، حقا، أن يستكثر نفر من المعاصرين قراءة النّابغة للبيتين، التي ظلّ لها رونقها حتى عصر الصولي، ويرفضها بدعوى عامّة هي أن<< ملكة النقد عند الجاهليين هوالذوق الفني المحض، فأما الفكر وما ينبعث عنه من التحليل والاستنباط فذلك شيء غير موجود عندهم، وبعيد كل البعد عن الروح الجاهلي وعن طبيعة العصر الجاهلي>> [4]، وبدعوى خاصة تشي بعض أجزائها بمصادرة أسّ الدعوى العامة " ملكة النقد عند الجاهليين هو الذوق الفني المحض" وتستند هذه الدعوى الخاصة على[5]:

أولا: لم يكن الجاهلي يعرف التصحيح وجمع التكسير، وجموع الكثرة وجموع القلّة، ولم يكن له ذهن علمي يفرّق بين هذه الأشياء كما فرّق بينها ذهن الخليل وسيبوبة، ومثل هذا النقد لا يصدر إلا عن رجل عرف مصطلحات العلوم، وعرض الفروق البعيدة بين دلالة الألفاظ، وألمّ بشيء من المنطق.

ثانيا: لو أن هذه الروح الجاهلية لوجد أثرها في عصر البعثة يوم تحدّى القرآن العرب وأفحمهم إفحاما، فقد لجأوا إلى الطعن عليه طعنًا عامًا، فقالوا: سحر مفترى، وقالوا: أساطير الأوّلين. ولو أن لديهم تلك الروح

---

[1] نفسه.

[2] د. محمد عابد الجابري: الخطاب العربي المعاصر، المركز الثقافي العربي: الدار البيضاء ودار الطليعة بيروت، ط1، 1982، ص9.

[3] أدونيس: سياسة الشعر، دار الآداب: بيروت، ط01، 1985، ص52.

[4] طه أحمد إبراهيم: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الحكمة: بيروت، د.ط، د.ت، ص18.

[5] نفسه: ص19-20. وانظر كذلك: - د محمد طاهر درويش: حسان بن ثابت، دار المعارف بمصر، ط02، 1976، ص249-250؛ - د.حنفي محمد شرف: النقد الأدبي عند العرب (أصوله، قضاياه، تاريخه)، مكتبة الشباب، ط02، د.ت، ص203.

البيانية لكان من المنتظر أن ينقدوا القرآن على نحوها، وأن يفزعوا إليها في تلك الخصومة العنيفة التي ظلت نيِّفا وعشرين عاما.

ثالثا: لم يطمئن نحاة القرن الرابع الهجري إلى حكاية نقد النابغة لحسان؛ فابن جني روى عن أبي علي الفارسي أنه طعن في صحتها[1].

وثمة من تصدى لهذا الاعتراض وفنّده، لأن<< الكلمات التي جرت على لسان النابغة في مجلس التحكيم كما أوردها الرواة لا يستلزم صدورها مثل هذه المعرفة بمصطلحات العلوم التي عرفت في القرن الثالث الهجري، لأن ألفاظ تلك المصطلحات لم تجر على لسان النابغة، وإن كان قد جرى ما يشبه مدلولها، فإن العربي أعلم بلغته وأقدر على التصرف فيها من غير حاجة إلى معرفة تلك المصطلحات، لأن العربية لغته التي يعرف تفاوت أساليبها من غير أن يعلِّمه أمثال الخليل وسيبوبة وأضرابها ومثل هذين العالمين وغيرهما إنما أخذوا ما يعلمه العرب بفطرتهم ليعلِّموا به غير العرب، أو ليعلِّموا العرب الذين نزحوا عن وطنهم الأوّل وفسدت لغتهم بمخالطة غيرهم >> [2].

ويذكر المرزباني أن القراءة " **الذبيانية** " ردّت أن قوما لم يسمِّهم احتّجوا لحسان بما لا وجه لذكره في هذا الموضع[3]، والبحث لا يرتاب في أن يكون قدامة بن جعفر هو الذي عناه المرزباني، لأنه ذكره مرّات في كتابه وأفاد منه. **فما الذي أتى به قدامة وكيف قرأ البيت؟**

لقد اختار قدامة[4] بيت حسان اختيارا واعيا ليرد به على فئة من نقاد عصره قال إنهم يخطبون في ظلماء لأنهم كانوا يذمون "الغلو في المعنى" في مثل بيت أبي نواس[5]:

وأخفت أهل الشرك حتى إنّه لتخافك النطف التي لم تخلق

في حين استحسنوا ماروي من طعن النابغة على حسان في بيته الذي نحن بصدده دون أن يدروا أن النابغة " على ما حكي عنه لم يرد من حسان إل الإفراط والغلو بتصييره مكان مله معنى وضعه ما هو فوقه وزائد عليه" قبل أن يعرض قدامة قراءته هو للبيت، جعل يسوق تفاصيل القراءة السابقة جميعا، وقال" وعلى من أنعم النظر علِم أن هذا الرد على حسان من النابغة، كان أو من غيره، خطأ بيِّن وأن حسان مصيب إذ كانت

---

[1] ليست صحة الحكاية هي "المحور" الأساس، فلقد طعن فيها أبو علي الفارسي أستاذ ابن جني لكن الأهّم هو أن أهل النحو من مثل سيبويه والفارسي وابن جني ذهبوا إلى أن المراد ب" الأسياف"، و" الجفنات" في بيت حسان هو الكثرة لا القلّة، في هذا غير شاهد من القرآن الكريم خاصة كقوله تعالى: ﴿ وَهُمْ فِي ٱلْغُرُفَاتِ آمِنُونَ ﴾ (من سورة سبأ (34)/ من الآية/37)، وأظن أنه لا يجوز أن تكون الغرفات كلّها التي في الجنة من الثلاث إلى العشر (انظر الخصائص، ج2، ص 205، وما بعدها.- المحتسب، ج1، تحقيق علي النجدي ناصف وزميله، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية القاهرة، 1386ه، ص187-188).

[2] د. بدوي طبانة، دراسات في نقد الأدب العربي (من الجاهلية إلى نهاية القرن الثالث) مكتبة الأنجلو المصرية: القاهرة، ط04 (مزيد منقحة)، 1965، ص 58. وقد تابعه الدكتور منصور عبد الرحمن في: اتجاهات النقد الأدبي (من الجاهلية إلى نهاية القرن الرابع الهجري)، مكتبة الأنجلو المصرية: القاهرة، 1979، ص26-27.

[3] الموشح، ص328.

[4] ينظر: نقد الشعر، تحقيق كمال مصطفى، مكتبة الخانجي: القاهرة، د. ط، د.ت، ص61-65.

[5] ديوان أبي نواس الحسن بن هانئ، حققه وضبطه وشرحه:أحمد عبد المجيد الغزالي، دار الكتاب العربي: بيروت، د.ت، ص321.

مطابقة المعنى بالحق في يده وكان الراد عليه عادلا عن الصواب إلى غيره، **لماذا؟** لأن حسانا، في رأي قدامة وقراءته:

1- لم يرد بـ" الغر" أن يجعل الجفان بيضا، فإذا نقص عن تصيير جميعها أبيض نقص ما أراده؛ وإنما أراد بالغر: المشهورات، كما يقال " يوم أغر" و"يد غراء" وليس يراد البياض في شيء من ذلك، بل تُراد "الشهرة والنباهة".

2- أما قول النابغة في "يلمعن بالضحى"، أنه لو قال" بالدجى"، لكان أحسن من قوله" بالضحى" إذ كل سيء يلمع بالضحى؛ فهو خلاف الحق وعكس الواجب، لأنه ليس يكاد يلمع بالنهار من الأشياء إلا الساطع النور الشديد الضياء، فأما الليل فأكثر الأشياء، مما له أدنى نور وأيسر بصيص يلمع فيه. فمن ذلك الكواكب، وهي بارزة لنا مقابلة لأبصارنا، دائما تلمح بالليل ويقل لمعانها بالنهار حتى تخفى، وكذلك السرج المصابيح ينقص نورها كلما أضحى النهار، والليل تلمع فيه عيون السباع لشدّة بصيصها، وكذلك اليراع[1] حتى تخال نارا.

3- وأما قول النابغة أو من قال: إن قوله في السيوف: يجرين، خير من يقطرن، لأن الجري أكثر من القطر، فلم يُرِد حسان الكثرة، وإنما ذهب إلى ما يلفظ به الناس ويعتادونه من وصف الشجاع الباسل والبطل الفاتك بأن يقولوا: سيفه يقطر دما، ولم يسمع: سيفه يجري دما. ولعله لو قال: يجرين دما، لعدل عن المألوف المعروف من وصف الشجاع النجد إلى ما لم تجر عادة العرب به.

من الواضح أن قراءة قدامة للبيت لم تصدر عن المضمون أو القصد المعقود على "الافتخار" الذي يصبو، في الأغلب، إلى المبالغة والإيغال وربما الغلو، وهي، إذا ما صح اعتقادي وفهمي النقدي بأنها تنبجس من سياقات ثلثة: جمالي، وتاريخي اجتماعي، ومعرفي، تجمع بين جانبي الخطاب أي ما يقوله صاحبه وما يقوله قارئه.إنّها، وفقا لهذا الفهم، ليست قراءة بعد واحد أو استنساخية تقنع بالتلقي المباشر، وليست قراءة طامسة، لأنها لم تكتف بقصد الشاعر أو مضمون بيته، بل حرصت على أن تعيد النظر في القراءة القديمة التي ظلت سائدة وثابتة حتى زمانه، وان نعلي البعد الشعري الجمالي الذي انطمس باستخدامه لا بقراءته قراءة شعرية مثلى.

إذن، قراءة قدامة، قراءة تأويلية من القراءات ذات البعد الذي يتحدث عنه صاحب النّص، والبعد الذي يتحدث عنه القارئ. فلقد استنطق البيت، وكشف أن وراء بقائه المباشر بناء آخر << مباطنا له أو ملازما له نوعا من الملازمة >>[2].

لقد أخرج قدامة البيت، بقراءته الجديدة له، من دائرة السكون والثبات في المعنى، إلى دائرة متحركة كشف فيها عن إمكانات المعاني أو الدلالات المحتملة الأخرى.

ففي السياق الجمالي رفض، بأخذه برمزية اللغة ودلالتها، قراءة "الغر" بـ"البيض" وهو معناها اللغوي الحرفي المعجمي اليقيني، لأنه أدرك أن الشاعر رمى إلى ما هو أبعد منه، فأخذ بالمعنى الرمزي الدلالي الاصطلاحي "الشهرة" وهو المدلول الذي جرى به العرف والعادة.

---

[1] اليراع: جمع يراعة، وهي لبلب يطير في الليل كأنه نار، وقيل هي نار حباحب (ينظر: لسان العرب، مادة: يرع).

[2] الخطاب العربي المعاصر، ص10.

وقد يكون تركيز قدامة على معنى" الشهرة" و"النباهة" و"الانتشار" هو الذي صرفه عامدا عن ترك ما قيل في "الجفنات" و"الأسياف" من أنهما للقلة لا للكثرة، ومن يدري، فربما كان يعرف أن سيبويه قد أدخل" الجفنات" في البيت في الجمع الكثير[1].

أمّا في السياق التاريخي الاجتماعي فرجع "يقطرن" على "يجرين"، لأن هذه اللفظة الأخيرة عدول عن "المألوف المعروف من وصف الشجاع النجد إلى ما لم تجر عادة العرب به".

وأما في السياق المعرفي، الذي ينم عن معرفة بطبيعة الأشياء، فقد وقف عند "يلمعن بالضحى" ورفض قراءة "يلمعن بالدجى" للأسباب الطبيعية المنطقية التي أوردها.

وختاما، فإن الأمر كان يستدعي إيراد نصوص أخرى تقريبا أكثر من فكرة القراءة المتجدّدة للنص أو الاستمرار في استكناه أبيات الشعراء الواردة في هذا الموضوع غير أن المقام لا يسمح بأكثر والمأمول أن يتاح ذلك في مناسبةأخرى، وإن المهم هنا أنه لا يمكننا أن نفصل شكل النص عن مضمونه ولا يمكننا، أيضا، إغفال الأدوات اللغوية ومستوياتها المشكلة للنص التراثي في قراءات النقاد القدامى.

[1] المبرد: الكامل في اللغة والأدب، ج02، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم والسيد شحاته، دار نهضة مصر: القاهرة، 1977، ص192.